التعريف والنقد

موضوعات عربية واسلامية
في الدراسات التاريخية والتربوية والأدبية

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الطيباوي

Arabic and Islamic Themes, Historical, Educational And Literary Studies, By A. L. Tibawi, London, Luzac & co. Ltd. 1976. pp. 409

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

من الكتب القيمة التي يحني الإنسان قامته أمامها تقديراً والتي ظهرت في الانكليزية مؤخراً ، كتاب للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الطيباوي بعنوان : « موضوعات عربية وإسلامية في الدراسات التاريخية والتربوية والأدبية » وهو كتاب مستوفٍ لكل الشروط الأكاديمية لعالم جليل يحمل لقب الدكتوراه في الفلسفة PH. D. والدكتوراه في الآداب D. Lit. ، والأخير لقب يندر أن يحصل عليه انكليزي ، ناهيك عن الأجنبي العربيّ.

والحق أن الكتاب مما يجب أن تفخر به دنيا الضاد ، كسائر كتب الدكتور الطيباوي ، وقد قرأته بمتعة فائقة وشعرت بتجاوب روحي - عقلي بيني وبين المؤلف الفاضل .

يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام وملحق ، ويغلب على القسم الأول الطابع التاريخي ، وعلى الثاني التربويّ ، وعلى الثالث الأدبيّ ؛ ويضم القسم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأول ستة فصول عمادها نقد للترجمة الانكليزية لكتـاب السيرة النبوية لابن إسحق ، للفقيد الفريد غيّوم Alfred Guillaume ، و « النصارى تحت حكم محمد ﷺ وخليفتيه » و « رأي المسلمين الأوائل في إمكان ترجمة القرآن الكريم » و « فكرة الهدى في الإسلام » و « من الاسلام إلى القومية العربية ، مع إشارة خاصة إلى مصر والشام » و « آخر فارس لخاتم الخلفاء » .

أما القسم الثاني فيتألف من ثمانية فصول هي : « استعراض نقدي لبحوث قرن ونصف في إخوان الصفا ورسائلهم » ، و « بعض المصطلحات التربوية في رسائل إخوان الصفـا » و « فلسفة التربية الإسلاميّة » و « إقـامة الغزالي في دمشق والقدس » و « أصل المدرسة وخصائصها » و « المعلم بطرس البستاني » و « أصول الكلية السورية البروتستانتية ومستهل تاريخها » و « معنى الثقافة في العربية المعاصرة » .

أما القسم الثالث والأخير فيضم سبعة فصول هي : « مراجعة نقدية لتاريخ كمبردج للإسلام » و « بعض اختلاطات في مفهوم النهضة » و « تي ئي. لورنس وفيصل ووايزمان » و « وفلسطين في مؤامرة انكليزية صهيونية؛ من ميثاق ماكماهون إلى مؤتمر الصلح » و « إنكار حق تقرير المصير لعرب فلسطين والمسؤولية البريطانية » و « أحلام العودة - اللاجئون العرب الفلسطينيون في الشعر والفن العربيين » و « مدينة القدس » .

أما الملحق فمراجعات للكتب ، ويضم عشرين موضوعاً على النحو التالي :

١ – «محمد النبيّ ورجل الدولة» لمونتغومري وات W. Montgomery watt

٢ – « ما الإسلام ؟ » لمونتغومري وات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ « شريعة الإسلام للأمم والشعوب (سيّر الشيبانيّ) » ترجمة م. خدّوري .

٤ – «مقدمة ابن خلدون» الترجمة الانكليزية لروزنتال F. Rosenthal

٥ – « دمشق تحت حكم المماليك » الدكتور نقولا زيادة .

٦ – « منتخبات جديدة من رباعيات عمر الخيام » ترجمة جون باون J. C. E. Bowen

٧ – الفترة الدستورية العثمانية الأولى » لروبرت ديفيرو R. Devereux

٨ – « الإصلاحات العثمانية في سوريا وفلسطين (١٨٤٠ — ١٨٦١) » لموشي ماغوز .

٩ – « مصر تبحث عن مجتمع سياسيّ » لِنَدافْ سفران Nadav Safran

١٠ – « تاريخ مصر الحديث » ڤاتيكيوتس P. J. Vatikiotis

١١ – « تاريخ لبنان الحديث » لصليبي K. S. Salibi

١٢ – « الوجود الروسيّ في سوريا وفلسطين (١٨٤٣ — ١٩١٤)» لديريك هوپوود .

١٣ – « حيث يجري نهر الأردنّ » لسانكر R. H. Sanger

١٤ – « استعراض الشؤون الدولية (١٩٥٦ – ١٩٥٨) » لجيفري باراكلوف Geoffrey Bnrraclough

١٥ – « القرية الظالمة (يوم جمعة في القدس) » ترجمة كينث كراك Kenneth Cragg

١٦ – « القبة والصخرة » لكينث كراك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٧ — « وجهة نظر (جائام هاوس) ، دراسات أخرى عن الشرق الأوسط » لخضوري E. Kedourie

١٨ — «القومية العربية » (مجموعة مختارات) لحيّيم S. G. Haim

١٩ « إسرائيل وفلسطين » لألبرت حوراني Albert Hourani

٢٠ « المصالح الأميركية في سوريا (١٨٠٠ — ١٩٠١) » لعبد اللطيف الطيباويّ ، مراجعتان : إحداهما لآربري ، والأخرى لجوزيف مالون ، مع رد للطيباوي على الثاني ، وككل رد للطيباوي أحسن فيه المحاجّة ، ولم يفقد الرصانة والاتزان .

وقد ازدان الكتاب بمقدمة بليغة دافع فيها عن الإسلام ولغة الضاد ضد من أسماهم « بأنبياء الشؤم » The Prophets of Doom الذين تنبأوا قبل جيل أو جيلين بأن هلاك الإسلام المحتوم أخذ يقترب ، وأن العربية الفصحى ستندحر أمام اللهجات العامة المحليّة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، بل على العكس فقد ازدهر الإسلام وعلا نجم العربية في كل مكان وانتشر التعليم بمختلف مراحله قوياً رصيناً ، وباء أعداء الإسلام والعربية بخسران مبين ، وكان بينهم الأكاديميون والعلماء أو من يدعون النزعة الأكاديمية والعلم ... ولكن التعصب يعمي البصر والبصيرة !

وكان الدكتور الطيباوي قد أشار إلى أن هذا الضرب من التعصب قد ازداد حتى شمل العرب والقومية العربية وذلك في رسالة عنوانها :

English - Speaking Orientalists - A Critioue of their Approach to Islam and Arab Nationalism (Luzac, London, 1964)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« المستشرقون الناطقون بالانكليزية – دراسة نقدية لنظرتهم إلى الإسلام والقومية العربية » .

وقد كرر في الكتاب الذي بين أيدينا نقده بصورة مباشرة وغير مباشرة لبعض الباحثين الغربيين ولواحد أو اثنين من تلامذتهم المريدين من العرب ، ورجاهم جميعاً بأن ينظروا إلى القضايا العربية والاسلامية نظرة واقعية محضة خالية من التعصب والتحيز ، وأن يحاولوا طرق مجالات جديدة في بحوثهم غير ما طرقوه حتى الآن مراراً وتكراراً بحيث عاد كلامهم مملاً ممجوجاً .

وقد اعترف الأستاذ البحاثة بأن تقسيم كتابه إلى ثلاثة أقسام : تاريخية وتربوية وأدبية ، إنما هو تقسيم غير طبيعي لعدم وجود فارق مطلق بين التاريخ والتربية والأدب .

وقد استهل الباحث المحقق كتابه بفصل نقدي لترجمة الفريد غيّوم لسيرة ابن إسحق إلى الانكليزية ، وكان أول ما أخذ على كُتّاب السيرة النبوية الانكليز عدم رجوعهم إلى ما كتبه الباحثون العرب حول الموضوع .

والسيرة النبوية حسبما نقلت عن ابن إسحق جمعها غيّوم من عدة مصادر وقارنها ببعض المخطوطات التي عثر عليها ، ولكن المسألة ليست بهذا اليسر ، فهناك مواضع لا تستطيع بين ما كتبه ابن إسحق وما دوّنه ابن هشام (١) فيعتمد غيّوم إذ ذاك على الحدس والتخمين ، وبدلاً من أن يحسّن الترجمات التي سبقته أخطأه التوفيق فدمّرها .

(١) Tibawi, Arabic and Islamic Themes, p. 2 q

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويورد الدكتور الطيباوي عدداً غير قليل من النصوص العربية التي وَهِمَ الأستاذ غيّوم في نقلها إلى الانكليزية ، ويعقد الناقد بين الحين والحين مقارنة بين ترجمة غيّوم إلى الانكليزية وترجمة وستنفيلد Wüstenfeld لنفس العبارات إلى الألمانية ، فيبرهن الطيباوي بذلك على تضلع بالألمانية واطلاع على أساليب الترجمة فيها ؛ وليس هـذا فحسب بل إنه يشير كذلك إلى أخطاء وقعت في لغة المترجم الانكليزية [١] .

ومن الموضوعات المتسمة بالعمق والتي تطرق إليها الطيباوي في كتابه هو موضوع « فلسفة التعليم في الإسلام » فقد جعل القرآن والحديث نقطة ارتكاز لأي موضـوع في هذا الشأن وذكر أن التعليم في الإسلام يأتي بعد الشهادتين مباشرة ، وقبل فريضة الصلاة على أهميتها ؛ وأن منزلة العلماء بعد الله والملائكة ، وقد وصلنـا العديد من البحوث والدراسات التربوية منذ القرن الثالث للهجرة وهو القرن الذي اتسم بتدوين الحديث ؛ وأقدم ما كتب في نظريات التربية والتعليم كان بقلم الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في « رسالة المعلمين » وفي الفصل الذي ضمنه كتابـه (البيان والتبيين) الذي يُعدّ ذا أهمية تاريخية لتمييزه صنفين من المعلمين :

١) معلم الكتاتيب المتواضع الذي يعلّم القراءة والكتابة لقاء أجر ، وهو أشبه بالمعلم البسيط في تاريخ الاغريق .

---

(١) راجـع الصفحة ٢٩ مثلا حيث تجد العبـارة : « This and the Following paragraph » ، وهذه الفقرة والتي تليها جاءتا باسم (sic) « Stands under the Name of Ibn Hisham » ابن هشام » ، وصواب التعبير الانكليزي Stand وليس Stands وللمزيد من ذلك راجع الصفحة ٣٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢) العالم المتبحر الذي إما أن يكون مدرساً خاصاً أو محاضراً عاماً ذا سمعة عالمية .

وكان ابن سحنون التونسي معاصراً للجاحظ فكتب هو الآخر رسالة في المعلمين [١] ولكن بأسلوب جاد يختلف عن الأسلوب الفكه الذي اشتهر به الجاحظ ، عالج فيها ما هو محلّل وما هو محرّم في تعليم القرآن والعلوم الملحقة به ، وقبول الأجور والمكافآت وإنزال العقوبات البدنية بالطلبة ، وكلا الباحثين لا يتطرق إلى فلسفة التعليم ، الأول لنزعته المرحة والثاني لضيق أفقه ، فأرجئت هذه المهمة إلى النصف الثاني من القرن الرابع لجماعة « إخوان الصفا » الذين تعشقوا الفلسفة فدوّنوا خمسين رسالة وجعلوا الفلسفة جزءاً من الدين لا يتجزأ ، محاولين بذلك إقامة مجتمع طوبائي تكون الزعامة فيه للعلماء ، معتبرين الأنبياء في أعلى مرتبة بين هؤلاء على أن يليهم الفلاسفة في الترتيب مباشرة .

ومن المدهش المحيّر قلة عناصر فلسفة التربية في كتابات الفلاسفة المسلمين باستثناء المتصوفة الذين كانوا هم أنفسهم في عداد المعلمين ، وعندهم أن العقل دليل التربية وهاديها ، ولم يحاول المتصوفة مع ذلك الاستعاضة عن الإيمان بالعقل ، بل بالنور الإلهي للغرض ذاته .

واستطاع الإمام الغزالي ، قبل انصرام القرن الخامس الهجري ، أن يوفق بين الاتجاه السنّي للإسلام ، والتصوف ، والأسلوب الفلسفي ،وإن لم يتضمن ذلك الفلسفة برمتها ، فكانت فلسفته التربوية ذروة التفكير الفقهيّ في الموضوع ، ومع أن التعلّم بحد ذاته فضيلة ، بالنسبة للغزالي ، فإن

---

(١) آداب المعلمين (تونس ، ١٣٤٨ هـ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغرض منه شق الطريق إلى معرفة الله وعشقه ، ولا يغني هذا عن العلوم الأخرى التي هي ممهدات له .

ومع أن المعلم ، في نظام الغزالي ، لا غنى عنه ، فإن هناك تشديداً على الجهد الشخصي لا يُستهان به ، وينبغي ألا يقبل أجراً أو مكافأة لقاء التعليم ، وعلى المتعلم أن يكرس ذاته للعلم ، بعيداً عن بيته وأهله ، في أفضل الأحوال .

ولم يضف أحد شيئاً محسوساً إلى فلسفة التعليم بعد الغزالي فإن ما قيل بعده مجرد تكرار ، اللهم باستثناء ما جاء به العلاّمة ابن خلدون .

ولا بد كذلك من الإشارة إلى الزرنوجي الذي عاش في القرن السادس للهجرة ووضع كتابه : « تعليم المتعلّم طريق التعلّم » وقد تُرجم في أوائل القرن الثامن عشر إلى اللاتينية ومن بعدُ في عصرنا الحاضر إلى الانكليزية ، وليس فيه من جديد سوى بعض الطُرَف ، من نحو تحذيره العلماء من استعمال المداد الأحمر لأنه بدعة من بدع الفلاسفة لا من سبقهم من العلماء ، ونصحه بتناول المشمش في الصباح وتجنب التفاح الحامض ، إذا ما شاء العالم أن يتمتع بذاكرة قوية !.

على أن « فلسفة التعليم الإسلامية » تصل ذروتها في فصل خاص من مقدمة ابن خلدون وفيها من الآراء ما يستحق أن يوضع في مصاف أحدث الآراء التربوية وأسماها (١) .

والفصل الآخر الذي استرعى انتباهي في القسم المخصص للتربية في

(١) الطيباوي : « موضوعات عربية واسلامية » (بالانكليزية) ص ١٨٧ – ١٩٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتاب هو : « أصل المدرسة وميزتها » Origin and Character of « Al- Madrasah (١) حيث يقول المؤلف الفاضل : إن تاريخ التعليم الإسلامي لايزال ، في نطاق معلوماتنا عن الثقافة الإسلامية ، أحد المجاهل المظلمة نسبياً ، ثم يتحدث عن التعليم في « الكُتّاب » وفي « المجالس » ؛ والنمط الأول هو لتعليم القراءة والكتابة والحساب والشعر واللغة والأخبار (أي التاريخ) وفوق ذلك كله القرآن الكريم . أما المجالس فكانت حلقات في المساجد يرأسها عالم أو أستاذ أو شيخ أو حكيم ، ولم يكن التدريس لقاء أجر ولو أن ابن عباس روى عن النبي ﷺ قوله : «أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » (٢) ؛ وكان مما يأخذه علماء بلاد ماوراء النهرين على علماء بغداد أنهم يتقاضون أجراً كفاء تدريسهم .

ووضَعَ المؤلف (التأديب) و (الرحلات) جانباً على اعتبار أن (التأديب) خاص بأولاد الخلفاء والأمراء ، و (الرحلات) بأكابر العلماء الذين يتحملون مشاق الأسفار ويتيسر لهم ما تتطلبه من نفقات .

وجاءت بعد المجالس المكتبات كمراكز للدراسة والبحث حيث كانت توفر الكتب والمداد والأقلام والقراطيس ، وحاول الخلفاء وكبار رجال الدولة إنشاء مراكز ، فضلاً عن المساجد ، تحظى برعايتهم وتكون موضع اهتمامهم الخاص وقامت هذه المراكز أو المؤسسات تحت أسماء مختلفة ، منها (بيت الحكمة) أيام الرشيد والمأمون حيث قامت مكتبة وأنشيء مركز للترجمة ،

---

(١) الطيباوي : ص ص ٢١٢ – ٢٢٧

(٢) نفسه : ص ٢١٣ هـ ٣ = صحيح البخاري (بولاق ، ١٢٩٦) ج ٣ ص ٤٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنها أيضاً (دار العلم) التي كانت أكثر شمولاً أيام الحاكم بأمر الله ؛ والحق أننا لا نعلم إلا الشيء اليسير عن (بيت الحكمة) وذلك عن طريق فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء لابن القفطي . أما (دار العلم) التي ازدهرت تحت إشراف العزيز وابن كلّيس ، وزوّدت بمقرّ ومخصصات للطلاب فقد ورد ذكرها في خطط المقريزي [١] . ويحسن بنا أن نشير هنا إلى مقولة الأستاذ بيدرسن pedersen بأن (بيت الحكمة) و (دار العلم) كانتا مؤسستين سائرتين حسب التقاليد القديمة المتوارثة من العصور اليونانية ، فهي مقولة ممتعة ولكنهـــا موغلة في الخيـال [٢] على ما يقول الدكتور الطيباوي .

وازداد عدد المكتبات الخاصة والعامة حيث كان يجتمع العلماء والباحثون الناشئون للنقاش والدرس ، وذلك منذ القرن الثاني للهجرة ؛ وبانتهاء القرن الرابع أصبحت مثل هذه المؤسسات مظهراً راسخاً من مظاهر الحياة العقلية في العالم الاسلامي ، ومنها تطوّرت فكرة (المدرسة) .

ويقول الدكتور المقدسي [٣] إن المدرسـة ، ولا سيما النمط الذي

---

(١) الطيباوي ، ص ٢١٤ هـ = خطط المقريزي (القاهرة ، ١٣٢٦) ج ٢ ص ٣٣٤ – ٣٣٥

(٢) راجع بحث بيدرسن : « مظاهر من تاريخ المدرسة »
Some Aspects of the History of the Madrasa
في مجلة « الثقـــافة الاسلامية » Islamic Culture (السنة الثالثة) ج ٤ (١٩٢٩) ص ٣٥٢

(٣) مؤسسات التعليم الاسلامية ببغداد في القرن الحادي عشر للميلاد ، مجلة معهد المشرقيات بلندن ، المجلد ٢٤/١ ص ١ – ٥٦ (لسنة ١٩٦١)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أسسه نظام الملك ، كانت مؤسسة صممت لتعليم الفقه بصرف النظر عن العلوم الدينية الأخرى ، ولكنها في الواقع لم تبعد عن نطاق تعليمها إلا الفلسفة .

هذه نماذج اقتبسناها من طريقة تفكير وبحث الأستاذ الطيباوي . على أن أعمق وأروع ما كتبه الطيباوي كان عن « إخوان الصفا ورسائلهم » وهو كما يقول : « مراجعة نقدية لقرن ونصف من التتبع والاستقراء » ، استنفدت خمساً وعشرين صفحة من الكتاب مثقلة بالهوامش الطويلة ذات المصادر المتعددة ومنتهية بخمس صفحات وبعض الصفحة عن « بعض المصطلحات التربوية في رسائل إخوان الصفا » وكانت هذه في الأصل كلمة ألقيت في مؤتمر المستشرقين الرابع والعشرين المنعقد بميونخ (بألمانيا الغربية) في آب / أغسطس ١٩٥٧ [١] .

فالسنوات الأربع الأولى على رأي اخوان الصفا وكما جاء في كلمة الطيباوي [٢] هي سني التربية يتعلم خلالها الطفل بطريق الحواس والغرائز ؛ والفترة من الرابعة حتى الخامسة عشرة تقدم لنا الرسائل ثلاثة مصطلحات هي : (المكتب) أو (الكتّاب) و (المعلم) و (الصبيّ) ؛ وبعد الخامسة عشرة ، أي في سن الشباب ، تصبح المصطلحات الثلاثة : (المجلس)

---

(١) كنت من حضر هذا المؤتمر ، وقد ألقيت فيه موضوعاً عن « القصة العراقية الحديثة » واستمعت إلى كلمة الدكتور الطيباوي التي قوبلت في حينها بتقدير المؤتمرين وإعجابهم .

(٢) موضوعات عربية واسلامية ، ص ١٨١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و (الأستاذ) و (التلميذ) [١] أو (طالب العلم) .

ويبدو أن المصطلحات الثلاثة الأولى كانت تتعلق بمرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي ، في حين أن الثلاثة الآخرة خُصّت بالتعليم العالي سواء أكان في المساجد أو المكتبات أو المدارس ، فهو متصل (بالعلم) ويرأسه (أستاذ) . وكان معظم اهتمام (اخوان الصفاء) منصباً على (الشباب) ومرحلة التعليم العالي التي يجب أن تشمل مختلف صنوف المعرفة أي العلوم النبويّة بالاضافة إلى الفلسفيّة أو بالأحرى محتويات رسائل اخوان الصفا ، فالترتيب هو (مكتب المعلم) أولاً يليه بعد ذلك (مجلس أهل العلم) ؛ وكانت عادةُ (الرحلة) في طلب العلم متعارفاً عليها ، ويشار إلى محاولات الطالب للاتصال بأستاذه (باللقاء) و (المجالسة) أو (المرافقة) للعالم ؛ ويتعلم (الصبي) بطريق (الإملاء) و (والتلقين) لأن (القوة العاقلة) فيه لا تظهر قبل سن الخامسة عشرة ، ويتعلم (التلميذ) بطريق (العقل) ومن ثم بطريق (البرهان) أو المنطق ، وبطريق (البحث) و (المذاكرة) ثم يضيف جماعة اخوان الصفا ما يميط اللثام عن ميلهم الغامض إلى التصوف بذكرهم طريقاً آخر هو طريق (الالهام) !

وأستاذ « الشباب » الذين تجاوزوا الخامسة عشرة ، هو على رأي اخوان الصفا ، (حكيم) وتلميذه (محبّ الحكمة) ، واللفظتان في مصطلح أهل السنة (عالم) و (طالب علم) ويعبرون عن إتمام الدورة التعليمية بـ (التخرّج) مشتقاً من الفعل (تخرَّج) ، ويشار إلى مهنة

---

(١) لفظة (الأستاذ) فارسية و (تلميذ) سريانية ، يراجع قاموس هافا العربي ـ الانكليزي ، بيروت ١٩١٥ ص ص ٦١ و ٣٠٨ = الطيباوي ١٨١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التعليم بـ (صناعة المعلمين) ؛ والتلميذُ (ابنٌ نفسانيّ) للأستاذ ، والغاية هي (تهذيب) الروح ، و (تطهير) الأخلاق ، وإن ما تصبو إليه الرسائل من وراء ذلك هي (المملكة الروحانيّة) ، ويلي (التهذيب والتطهير) ما يسميه الاخوان (بالتتميم والتكميل) للروح . وكل ذلك إعداد للحياة الأبدية في الدار الأخرى ؛ وهكذا ربط الاخوان بكل براعة العكوف على العلم والاستزادة منه جَهْدَ المستطاع في هذه الدنيا بالتهذيب والطهارة والتمام والكمال في الآخرة ، لكيلا يقول قائل : « ما الفائدة من التزود بالعلم الدنيويّ ما دام مصيرنا جميعاً إلى عالم آخر ؟ » ويفسر لنا هذا كيف أن بعض مشاهير العلماء كانوا يحاولون اكتساب المزيد من العلم حتى على فراش الموت ، عندما يكونون في الرمق الأخير ، فالغرض من الحياة المتمثلة في الروح أو الجزء الالهي من كيان الإنسان هو التشبع بأكبر قسط من العلم الذي كلما زاد مقداره زاد نقاء الروح قبل العودة للاندماج بالأصل الذي انبثقت منه ، ويسميها الاخوان بـ (النفس الجزئية) ، وعلى هذا فان الحياة ليست عبثاً وإنما غرضها التعليم المستمر (من المهد إلى اللحد) لتحقيق المثل الأعلى ألا وهو النقاء التام لأجزاء الروح الكبرى التي انتزعت منها ؛ وهكذا فالروح (علاّمة بالقوة) وتحتاج إلى تذكير لتصبح (علاّمة بالفعل) ؛ ويتطلب ذلك (التربية) و (التعليم) [1] .

والفضيلة الكبرى في بحوث الأستاذ الدكتور عبد اللطيف الطيباوي هي أنه يعتمد في كثير مما يكتسب على وثائق ومستندات لم تر النور بعدُ ، وخير مثال على ذلك بحثه عن « أصول الكلية السورية البروتستانية

(١) الرسائل ، ج ٣ ص ٣٩٣ = الطيباوي ، ص ١٨٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومستهل تاريخها » والكلية موضوعة البحث هي المعروفة اليوم « بالجامعة الاميركية ببيروت » ، فقد راجع الأستاذ الباحث أوراقاً ووثائق في مكتبات عامة وشبه عامة في أربعة مراكز مختلفة في الولايات المتحدة واطلع إلى حد ما على بضعة مصادر غير مطبوعة هي بحوزة رئيس الجامعة الاميركية ببيروت ؛ والمواد التي جاء بها الطيباوي غير مذكورة أو قد أُلمِعَ إليها من بعيد في كتب ثلاثة من رؤساء الجامعة السابقين ، وهي :

١ – كتاب « ذكريات دانيال بليس » (نيويورك ، ١٩٢٠) .

The Reminiscences of Daniel Bliss (New york 1920)

٢ – وكتاب « لكيما تكون لهم حياة – قصة جامعة بيروت الاميركية » لاسطيفان پينروز (نيويورك ، ١٩٤١) .

Stephen B. L. Penrose « That They May Have Life - the Story of the American University of Beirut 1866 - 1941 » (Newyork, 1941)

٣ – وكتاب بايارد دودج : « جامعة بيروت الاميركية – تاريخ موجز » (بيروت ، ١٩٥٨) .

Bayard Dodge « The American University of Beirut A Brief History » (Beirut , 1958)

وقد ألحق بالفصل القيّم هذا قائمة باثنين وثلاثين كتاباً من الكتب غير الدينية التي طبعت بالعربية لتستعمل في الكلية خلال الفترة التي شملتها دراسة الدكتور الطيباوي ، وهي :

(١) على عهد دانيال بليس Daniel Bliss

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

● الدروس الأولية في الفلسفة العقلية (١٨٧٤)

(٢) على عهد كورنيليس فان دايك Cornelius Van Dyck

● أصول الكيمياء (١٨٦٩)

● رسالة الرازي في الحصبة والجدري (١٨٧٢)

● كتاب في اللوغارتمات ومساحة المثلثات (١٨٧٣)

● أصول علم الهيئة (١٨٧٤)

التشخيص الطبيعي (١٨٧٤)

أصول الباثولوجيا (١٨٧٨)

(دار الكتب المدرسية التالية التي وضعت للمدارس لا للكلية) :

المرآة الوضيئة في الكرة الأرضيّة (١٨٥٢)

● الروضة الزهرية في الأصول الجبرية (١٨٥٣)

كتاب الأصول الهندسيّة (١٨٥٧)

● محيط الدائرة في علم العروض والقافية (١٨٥٧)

النقش في الحجر (ثمانية أجزاء فيها مقالات مبسّطة في العلوم (١٨٨٦)

كتاب النفائس (مجموعة القراءة العربية) (؟)

(٣) على عهد جورج بوست George Post :

كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات (جزآن)

(١٨٦٩ ، ١٨٨٢)

مبادىء التشريح والفيسيولوجيا والهيجين (١٨٧٠)

● مبادىء علم النبات (١٨٧١)

المصباح الوضّاح في صناعة الجرّاح (١٨٧٣)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأقرباذين أو الموادّ الطبيّة (نشر قسماً قسماً ابتداء من ١٨٧٤ في مجلة « أخبار طبيّة » التي عرفت فيما بعد بمجلة « الطبيب ») (١٨٧٤ – ١٨٧٦)

● نباتات سوريا وفلسطين والقطر المصري وبواديها (١٨٨٤)

(٤) على عهد جون ورتابيت John wortarbet :

التوضيح في أصول التشريح (١٨٧١)

مختصر في أعضاء الجسد البشريّ ووظائفها (١٨٧٣)

أصول الفسيولوجيا (١٨٧٧)

أطلس في التشريح والفسيولوجيا (١٨٧٨ ؟)

كفاية العوام في حفظ الصحة وتدبير الأسقام (١٨٨١)

(٥) على عهد هارفي بورتر Hervey Porter :

● النهج القويم في التاريخ القديم (١) (١٨٨٤)

ايضاح نحو اللغة اللاتينية وصرفها (؟)

تعليم القراءة اللاتينية (؟)

(٦) على عهد ايدوين لويس Edwin Lewis :

أصول التحليل الكيميّ (١٨٧٦)

الهواء والماء (١٨٧٩)

(٧) على عهد أسعد شادودي :

العروس البديعة في علم الطبيعة (١٨٧٣)

---

(١) الكتب المعلمة بدائرة سوداء هي وحدها التي لاتزال متوفرة في مكتبة الجامعة الأميركية ببيروت في الوقت الحاضر.

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٨) على عهد فارس نمر :

الظواهر الجويّة (١٨٧٦)

(٩) على عهد يعقوب صرّوف :

سرّ النجاح (١٨٨٠)

وباستعراض هذه القائمة التي وفّرها لنا البحاثة الفاضل يمكننا أن نفهم جانباً من مستوى جامعة بيروت الأميركية خلال أحد عشر عاماً من سنيّ الجامعة في القرن التاسع عشر ، وما قدمته من خدمات في مجالي الآداب والعلوم وتوفير المصطلحات العلمية في التشريح والباثولوجيا والفيسيولوجيا ، وعلم الأمراض ، وحفظ الصحة ، والجراحة ، والحيوان ، والنبات ، والكيمياء ، والجبر ، والهندسة ، والمثلثات ، وعلم الهيئة ؛ فضلاً عن تشجيع دراسة هذه العلوم بالعربية ، غير أن هذا الاتجاه ، للأسف ، توقف في السنة الدراسية ١٨٧٩ — ١٨٨٠

يصوّر لنا الأستاذ الطيباوي الصعوبات التي جابهها المبشرون الأميركيون في اختيار مقرّ للجامعة الأميركية في الشرق الأوسط فترددوا بين « سميرنه » Smyrna ومالطة واليونان والقدس وبيروت ، حتى استقر رأيهم على الأخيرة وجلبوا إليها مطبعتهم العربية في أيار / مايو ١٨٣٤ بعد أن كان مقرها في مالطة ؛ وقد سمحت لهم الحكومة العثمانية بالتبشير بين اليهود والأرمن ومختلف الطوائف المسيحية لجذبهم إلى المذهب البروتستانتي ؛ وكان من أهداف المبشرين الأميركيين الاضطلاع بإخراج ترجمة عربية جديدة للكتاب المقدس ، أي العهدين القديم والجديد ، فعهدوا بالأمر إلى لجنة مؤلفة من ايلي سميث Eli Smith وبطرس البستاني (الذي اعتنق المذهب البروتستانتي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأصبح من أشد أنصاره) وناصيف اليازجي ، فلما توفي ايلي سميث خلفه فان دايك Van Dyck ، وفي ربيع سنة ١٨٦٠ أعلن فان دايك الفراغ من ترجمة العهد الجديد .

وأخيراً افتتحت الكلية الأميركية ، وهو الشكل الذي بدأت به الجامعة الأميركية ، يوم الاثنين الثالث من كانون الأول / ديسمبر ١٨٦٦ .

ويمضي الأستاذ الطيباوي في سرد قصته الأكاديمية الممتعة ، مدعمة بالوثائق والمستندات ليلقي أضواء على مؤسسة لعبت دوراً خطيراً في تاريخ الشرق العربي ، فيضيف إلى معلوماتنا أشياء كثيرة كنا نجهلها ويرفع النقاب عن أمور لم يفطن إليها من سبقوه ممن أرّخوا للجامعة الأميركية .

إن أقل ما يمكننا أن نقدمه للطيباوي الباحث الدؤوب في هذه المراجعة هو امتناننا العظيم له وإعجابنا بالكتاب الفذ الفريد الذي خدم به أمته في لغة تعد اليوم أوسع لغات الدنيا انتشاراً .

صفاء خلوصي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net